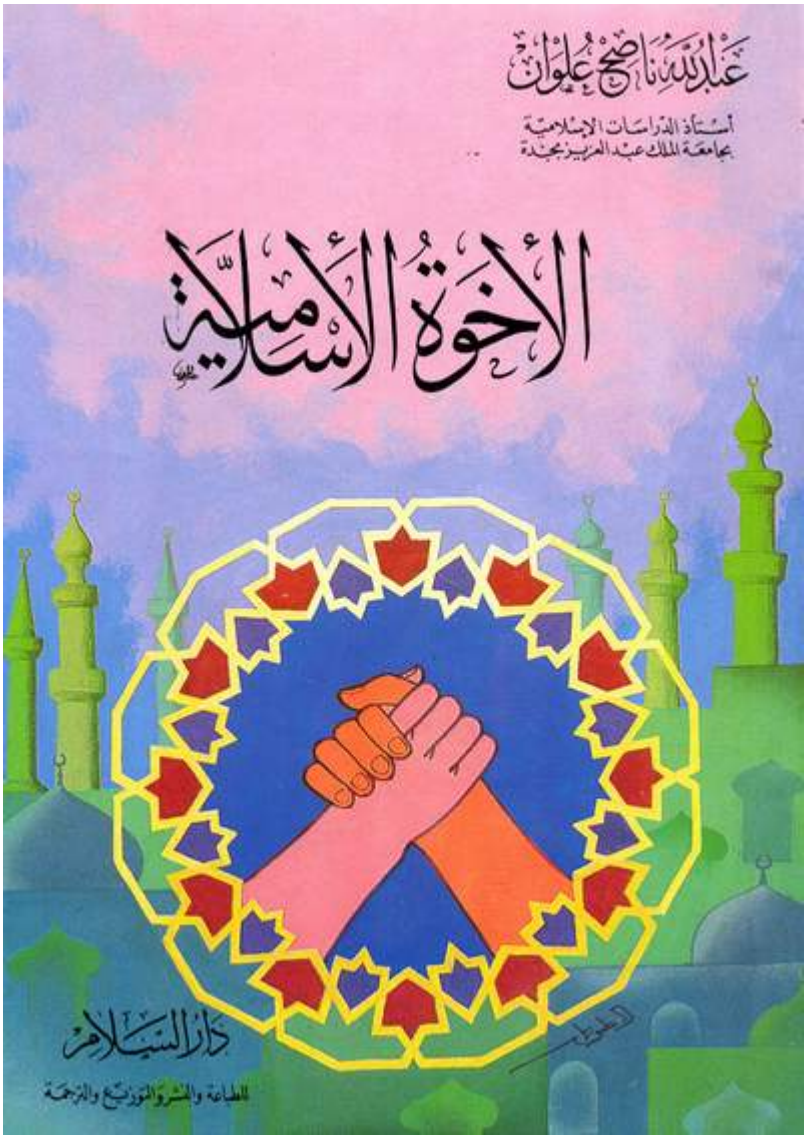
عبدالله ناصح علوان
أستاذ الدراسات الإسلامية
بجامعة الملك عبد العزيز بجدة
الأخوة الإسلامية
دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

فهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
١- ما هي الأخوة في الله ؟	٤
٢- فضائل الأخوة في الله	٧
٣- شرائط الأخوة في الله	١٠
٤- وسائل التعميق لروح الأخوة	١٦
٥- حقوق الأخوة في الله	٢٠
٦- نماذج من التاريخ في حقوق الأخوة	٣٠
٧- ثمرات الأخوة في بناء المجد والتاريخ	٣٧
٨- وأخيراً ..	٤٧

الإصدار الأول

www.abdullahelwan.net

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من دعا بدعوتهم ، واهتدى بهديهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فقد رغب إليّ بعض الإخوة المخلصين أن أكتب إلى أبناء الدعوة الإسلامية بشكل خاص ، وإلى أبناء الجيل المسلم بشكل عام بحثًا مفصلًا مستفيضًا يتناول **حقيقة الأخوة في اللّه ، ويشمل أهم فضائلها وحقوقها ، وأظهر وسائلها وثمراتها . . مع سرد النماذج التاريخية الخالدة ، المروّية عن آباء صدق ، ودعاة حق ، وقادة خير . . عبر التاريخ ، وخلال العصور . .**

فبناءً على رغبتهم ، ونزولًا عند إرادتهم سوّدتُ هذه الصفحات ، وسردتُ هذه الحقائق . . عسى أن يتفاعل شباب الإسلام ، وجنود الدعوة . . ببوتقة الأخوّة ، ويتوحّدوا تحت راية المحبة ، ويتآخوْا في ظلال الاعتصام بحبل الله . . وعسى أن يجدوا جميعًا المنار الهادي الذي يوضح لهم السبيل ، وينير لمسيرتهم الهادفة الطريق . .

والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يُبصّر جيلنا المسلم ؛ ولا سيما أبناء الدعوة إلى الله ؛ حقائق الأخوة ، ووسائل الترابط والمودّة . . ليقوموا بواجبهم الأكمل في تكوين مجتمع إسلامي أفضل ، ترفرف عليه بشائر المحبة ، وتضيئ في ربوعه أنوار الصفاء والإخاء . . عسى الله سبحانه أن يحقّق على أيديهم عزّ الإسلام ، ومجد المسلمين ، وهداية البشرية جمعاء . . وما ذلك على الله بعزيز ، وهو خير مأمول وبالإجابة جدير .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين

المؤلف

عبد اللّه ناصح علوان

١ – ما هي الأخوّة في الله ؟

الأخوّة في الله : هي منحة قدسية ، وإشراقة ربانية ، ونعمة إلهية . . يقذفها الله عز وجل في قلوب المخلصين من عباده ، والأصفياء من أوليائه ، والأتقياء من خَلْقه . . قال تعالى في سورة الأنفال : ﴿ **لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن اللّه ألف بينهم** ﴾ ، وقال في سورة آل عمران : ﴿ **واذكروا نعمة اللّه عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا** ﴾ . [آية : ١٠٣]

والأخوة أيضًا هي قوّة إيمانية نفسيّة تورث الشعور العميق بالعاطفة ، والمحبة ، والاحترام ، والثقة المتبادلة . . مع كلّ مَنْ تربطه وإياه أواصر العقيدة الإسلامية ، ووشائج الإيمان والتقوى . . فهذا الشعور الأخوي الصادق يولّد في نفس المؤمن أصدق العواطف النبيلة ، وأخلص الأحاسيس الصادقة ؛ **في اتخاذ مواقف إيجابية :** من التعاون والإيثار ، والرحمة ، والعفو ، والتنفيس وقت الشدّة ، والتكافل عند العجز . . . ؛ **وفي اتخاذ مواقف سلبيّة :** من الابتعاد عن كل ما يضر بالناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وكرامتهم الإنسانية . .

ولذا كانت الأخوّة في الله صفة ملازمة للإيمان ، وخصلة مرافقة للتقوى . . **إذ لا أخوّة بدون إيمان ، ولا إيمان بدون أخوّة ، كما أنه لا صداقة بلا تقوى ، ولا تقوى بلا صداقة . .**

أمّا أنّه لا أخوّة بدون إيمان فلقوله تبارك وتعالى في سورة الحجرات : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ . [آية : ١٠]

وأما أنّه لا صداقة بلا تقوى فلقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **الأَخِلاَّءُ يَومَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْض عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِين** ﴾ . [الزخرف : ٦٧]

ولا شك أن الأخوّة إذا انعدمت من الإيمان التقت على المصالح الذاتية ، والمنافع الشخصيّة . . وأن الصداقة إذا انسلخت من التقوى قامت على توريث العداوة والبغضاء في أول صراع على الدنيا يبدو ، وفي أول تنافس على المغانم وابتغاء المصالح يظهر ! ! . .

وإن وجدت في المسلم إيمانًا وتقوى ، ولم تجد بجانبه أخوة صادقة ، وصداقة مخلصة . . فهو إيمان ناقص ، وتقوى مزعومة . .

أما أنه إيمان ناقص فلقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان : " لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه " . وأما أنها تقوى مزعومة فلقوله تبارك وتعالى : ﴿ **وتَعَاوَنُوا عَلى البّر والتَّقْوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ . [المائدة : ٢]

والنفس الإنسانية القائمة على الإيمان ، والممتزجة بالتقوى ، بمجرد أن تلتقي مع من يماثلها إيمانًا وتقوى ، فإنها تشعر بالأنس في أول لحظات اللقاء ، وتحس بالصفاء في أول لمحات التعارف . . بل تمتزج نفساهما كأنهما نفس واحدة ، ويتجاذب قلباهما كأنهما قلب واحد ، فإذا المحبة تنبض في عروقهما ، والأخوة تسري في دمائهما ، والمودة تتألق في وجهيهما . . فيمسك الأخ بيد أخيه في رفق وإشفاق وحنوّ . . ليسيرا معًا في رياض الصفاء ، ويتنسّما جنبًا إلى جنب نسمات الوفاء ، ويتفيئا أثناء المسيرة ظلال المحبة الوارفة . .

وإذ كل واحد منهما يهمس في أسماع الناس هذه الحقيقة :

أَنَا أَنْتَ وأَنْتَ أَنَا نحن رَوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنَا

أما النفس المنطوية على الخبث ، والمتأَصلة على الفساد فلايمكنها بحال أن تتوافق مع النفس المؤمنة المطمئنة في لحظة لقائهما ، لكونهما متناكرتين أصلًا ، متخالفتين منهجًا، متنافرتين روحًا . . .

وإلى هذه المعاني كلّها أشار النبي صلى الله عليه وسلم – فيما رواه الشيخان – حين قال : "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف " [1]

هذه هي – يا إخوة الايمان – حقيقة الأخوة في الله ؛ فهي منحة ربانية يقذفها الله عز وجل في القلوب المؤمنة المخلصة . .

وهي قوة إيمانية نفسية ترتبط بالنفوس المتحلية بالإيمان ، المتصفة بالتقوى . .

وهي التي تدفع المؤمن إلى اتخاذ مواقف إيجابية من المحبة ، والإيثار ، والرحمة ، والتعاون ، والتكافل . .

وهي من الصفات الملازمة للإيمان ، المقرونة بالتقوى . .

وهي متآلفة مع قرنائها من الأرواح الطاهرة ، متناكرة مع أضدادها من الأرواح الخبيثة الشريرة . .

فما عليكم – يا شباب – بعد أن بانت لكم المعالم ، واتضحت أمام أعينكم الحقائق . . إلا أن تلجوا باب الأخوة في الله ، وتتحقق قلوبكم بمعانيها ، وتذوب نفوسكم فيها . . لتكونوا فيما بينكم رحماء ، وعلى أعدائكم أقوياء أشداء ، متأسّين بالرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : الذين قال الله عنهم في سورة الفتح : ﴿ محمد رسول اللّه والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ . [آية : ٢٩]

---

[1] الناس معادن : أي أصول للخير والشر بحسب ما جعلهم الله مستعدين له .

٢ – فضائل الأخوة في اللّه

ولما كانت الأخوة في اللّه منحة ربانية وسرًا قدسيًا ؛ ولما كانت صفة ملازمة للإيمان ، مقرونة مع التقوى ؛ ولما كانت لها من الآثار الإيجابية والروابط الاجتماعية هذا الاعتبار . . لما كانت الأخوة في الله كل هذا فقد جعل الله عز وجل لها من الكرامة والفضل ، وعلوّ المنزلة والأجر . . ما يدفع أبناء الإسلام الى استشرافها ، والتحقق بها ، والحرص عليها ، والذوبان فيها ، والسير في رياضها ، والتنسم من عبيرها . . عسى أن يكونوا من المؤمنين الأطهار ، والمتقين الأبرار . .

وإليكم – إخوة الإيمان – طاقةً شذيةً عطرة من زهرات التوجيهات النبوية في إظهار كرامة الأخوة في الله ، وعلوّ مقام المتآخين عند الله :

*** إن وجوههم لنور .**

وذلك لما روى أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن من عباد اللّه لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من اللّه تعالى" ، قالوا : يا رسول اللّه تخبرنا من هم ؟ قال : " هم قوم تحابوا بروح اللّه بينهم على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، واللّه إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس " .

*** إنهم مغفوروا الذنوب .**

لما روى " الطبراني " عنه عليه الصلاة والسلام : " إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم، فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما تتحاتّ الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف وإلاغفر لهما ذنوبهما ولو كانت مثل زبد البحر " .

*** إنهم في ظل عرش اللّه يوم القيامة**

وذلك لما روى " مسلم " عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :" إن اللّه تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي " ، ومن جملة هؤلاء السبعة الذين يظلهم اللّه

في ظله يوم لا ظل إلا ظله – كما روى الشيخان – : "ورجلا ن تحابا في اللّه اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه . . " .

*** إنهم في كنف المحبة الإلهية .**

لما روى الإمام مالك عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : " قال اللّه تعالى : وجبت محبتي للمتحابّين فيّ ، والمتزاورين فيّ والمتباذلين " ولما روى مسلم عنه عليه الصلاة والسلام : " أن رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى ، فأرصد اللّه تعالى على مدرجته (أي طريقه) ملكًا فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخًا لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربّها عليه (أي تقوم بها وتسعى في صلاحها) قال : لا ، غير أني أحببته في اللّه تعالى ، قال الملك : فإني رسول اللّه إليك بأن اللّه قد أحبك كما أحببته فيه " .

*** إنهم في جنة اللّه ورضوانه .**

لما روى " الترمذي " عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من عاد مريضًا أو زار أخًا في اللّه ناداه مناد بأن طبتَ وطاب ممشاك ، وتبوّأت من الجنّة منزلًا " .

*** إنهم من المتذوّقين لحلاوة الإيمان .**

لما روى " **الشيخان** " عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : " ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون اللّه ورسوله أحبّ إليه مما سواهما ؛ وأن يحبّ المرء لايحبه إلا للّه ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه اللّه منه كما يكره أن يقذف في النّار " .

تلكم – إخوة الإسلام – أهم الفضائل الدنيوية والأخروية التي تكتنف الذين يسيرون في طريق الأخوة في الله ، ويسعون جهدهم في أن يكونوا عباد الله إخوانًا . .

ولقد رأيتم أن المتآخين في الله تعلو وجوههم مسحة النّور الإيماني ، وتتلاشى ذنوبهم كما تتلاشى الأوراق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف ، ويظلّهم الله في ظلّ عرشه يوم لا ظل إلا ظلّه ،

ويغمرهم سبحانه في فيوضات محبته ، ويسكنهم فسيح جنته ، ويجدون في نفوسهم حلاوة الإيمان ولذة الإسلام . .

ما أعظم المؤمنين حينما تتصافح أيديهم بالمحبة ، وتلتقي نفوسهم على روابط الأخوة في الله . .

وما أسمى منزلتهم عند الله وما أكرم مقامهم في الملإ الأعلى . . حينما يسيرون في طريق الإخاء والوفاق والمودة ! ! . .

* * *

٣ – شرائط الأخوة في الله

للأخوة في الله شرائط وأساسيّات لا ينتظم عقدها إلا بها ،، ولا يمكن أن تكون مقبولة عند الله عز وجل إلا أن ينتهج المسلمون سبيلها ، ويأخذوا بأحسنها . .

وإليكم – أمة الإسلام – أهم شرائطها ، وأظهر أساسيّاتها عسى أن تكون ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :

أ – أن تكون الأخوة خالصة للّه .

ولا يمكن أن تكون كذلك إلا إذا تنزه المتآخون من كل مصلحة ذاتية ، وتجردوا من كل منفعة شخصية . . فعندئذ تؤتي الأخوة أُكلها ، وتحقق في المجتمع ثمراتها وإيجابياتها .

ومما يدل على ضرورة إخلاصها وتجردها . . حديث " مسلم " الذي سبق ذكره ، "وذلك في سؤال الملك للرجل الذي كان يزور أخًا في قرية أين تريد ؟ قال : أريد أخًا في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربّها عليه ؟ " أي هل لك من غاية تسعى من أجلها) قال : لا ، غير أني أحببتُه في اللّه تعالى ، قال فإني رسول اللّه إليك بأن اللّه قد أحبّك كما أحببته فيه " .

ب – أن تكون الأخوة مقرونة بالإيمان والتقوى .

ولا يمكن أن تكون كذلك حتى ينتقي المسلم من الأصحاب مؤمنهم ، وأن يختار من الأصداقاء أصفاهم وأتقاهم . .

ومما يدل على إيمان الأخوة وتقواها قوله تبارك وتعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة . .** ﴾ [الحجرات : ١٠] وقوله : ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الا المتقين . .** ﴾ . [الزخرف : ٦٧]

روى أبو داود " والترمذي " عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقيّ " .

وروى " أبو داود " و " الترمذي " عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم مَنْ يُخالِلْ " .

وإذا كانت الأخوّة كذلك فتكون أرسخ من الجبال الرواسي ، وأقوى من البناء المتطاول الأشم . . بل لا يمكن أن تزعزعها حادثات الليالي ، ولا أن تفرط عِقْدَها نوازل الأيام ! ! .

ج – أن تكون الأخوّة ملتزمة منهج الإسلام .

ولا يمكن أن تكون كذلك حتى يتعاهد المتآخيان على تحكيم شرع الله ، والرجوع في كل الأحوال إلى هدي محمد عليه الصلاة والسلام

وإلى هذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي سبق ذكره : " ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه " ؛ أي تعاهدا فى حال اجْتماعهما على التزام شريعة الله وتعاهدا في حالة تفرّقهما على العمل بشريعة الله . .

من أجل هذا كلّه كان الرجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يتفرّقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ، ثم يسلّم أحدهما على الآخر .

ومعنى هذا أنهما كانا يتعاهدان على المنهج الإسلامي ؛ ويتعاهدان على الإيمان والعمل الصالح ؛ ويتعاهدان على التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ؛ ويتعاهدان على أنهما من هذه الأمة القائمة على هذا الدين . .

ورحم الله الإمام الشافعي كم كان عميق الفهم ، دقيق النظر حين قال : " **ولو لم ينزل من القرآن غير سورة العصر لكفت الناس** " .

وإذا كانت الأخوة كذلك فيكون كل واحد من المتآخيين مصحفاً يمشي على الأرض في سلوكه وأخلاقه ومعاملته . . لكونه التزم في الحياة منهج القرآن ، ومبادىء الإسلام ؛ وذلك لأن الإسلام اعتقاد بالجَنَان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان . .

د – أن تكون الأخوة قائمة على النّصح للّه .

ولا يمكن أن تكون كذلك حتى يكون الأخ مرآة أخيه المؤمن ، فإن رأى أحدهما من الآخر خيرًا شجعه عليه وطلب منه المزيد ، وإن رأى منه نقصًا أو خللًا نصحه سِرًّا، وطلب منه أن يتوب إلى الله ، ويرجع إلى الهدي ودين الحقّ . . وفي ذلك تعاون كبير على التحلّي بالفضائل ، والتخلّي عن الرذائل ، وسعي حثيث لتكوين الشخصية المتآخية على أساس الإسلام ، وميزان الشريعة . .

وإلى هذه النصيحة الخالصة لله بايع النبي صلى الله عليه وسلمأصحابه عليها ، ليكونوا في المجتمع دعاة حق ، وهداة خير ، ورجال دعوة . . حيثما حلوا ، وأينما ارتحلوا . .

روى "**الشيخان** " عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : (**بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنّصح لكل مسلم**) .

بل نجد النبي صلى الله عليه وسلم ألزم كل مؤمن أن يكون ناصحًا لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامّتهم ، فقد روى " **مسلم** " عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الدين النصيحة) قلنا : لمن يا رسول اللّه ؟ قال : (للّه ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامّتهم) [1]

ولكن ما العمل إذا لم يستجب الأخ للنصيحة ؟

فعندما لا ينفع النصح والتذكير في منكر أصر على اقترافه ، أو في معصية صمّم على ارتكابها . . فعلى المسلم أن يلجأ إلى الهجر في الله حتى يعود إلى الحق ، ويثوب إلى الرشد ، وإذا بقي مصرًا على فسقه ، سادرًا في غيّه ميؤوسًا من صلاحه . . فعليه أن يهجره إلى الأبد ، وهذا الهجر من أوثق عرى الإيمان .

---

[1] النصيحة لله : الإيمان به ، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به ، والقيام بطاعته ؛ والنصيحة لكتابه : تلاوته حق تلاوته ، والعمل بحكمه ، والإيمان بمتشابهه .. ؛ والنصيحة للرسول : الإيمان به ، والتزام سنته ، والامتثال لأمره ، والانتهاء عما نهى عنه ... ؛ والنصيحة لأئمة المسلمين : نصحهم إذا أخطأوا ، وطاعتهم بالمعروف .. ؛ والنصيحة لعامتهم : جلب المنافع لهم ، ودفع الضرر عنهم) وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ..

وإليكم النصوص التي تثبت ذلك :

* روى " **الطبراني** " عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أوثق عرى الإيمان : الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحبّ في الله ، والبغض في الله " .

* وروى " **البخاري** " – في باب ما يجوز من الهجر لمن عصى – : وقال كعب حين تخلّف عن النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك : " نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ؛ وذكر خمسين ليلة" ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، ولم يكن أحد من الناس يكلّمهم أو ليحيّيهم أو يجالسهم . . حتى أنزل الله عز وجل في كتابه توبته عليهم .

* وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم هجر بعض نسائه شهرًا كاملًا زجرًا لهن وتأديبًا ، لمخالفات شرعية وقعن فيها .

* وروى " **السيوطي** " أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما هجر ابنًا له إلى أن مات ، لأنه لم ينقد لحديث ذكره له أبوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نهى فيه الرجال أن يمنعوا النساء من الذهاب إلى المساجد) .

* وروى " **الشيخان** " عن أبي سعيد رضي اللّه عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخَذْف (وهو رمي الحصى بالسبّابة والإبهام) وقال : (إنه لا يقتل الصيد ولا ينكأ العدوّ ، وأنه يفقأ العين ويكسر السن) ؛ وفي رواية أن قريبًا لابن مغفل خذف فنهاه وقال : (إنها لاتصيد صيدًا . . .) ثم عاد فقال : أحدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه ثم عدت تخذف ؟ لا أكلّمك أبدًا .

ولقد رأيت – أخي المسلم – أن من أهداف الهجر في الله ، اتخاذ الهجر عقوبة زجرية تأديبّية مؤقّتة ، كهجر النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته شهرًا كاملًا ، وكهجر الصحابة للمتخلّفين عن غزوة تبوك خمسين يومًا . .

هذا إذا كان الهجر في حق الفاسقين المقرّين بالإسلام ، والمؤمنين بالشريعة . .

أما إذا كان الهجر في حق ملحد تظاهر بإلحاده ، أو مسلم ارتدّ عن دينه . . فالتبرؤ منه ، والهجران له من أبسط مقتضيات الإيمان ، ومن أظهر توجيهات القرآن ، ولو كان الملحد أو المرتدّ أبًا أو أخًا أو ابنًا . .

قال تعالى في سورة المجادلة : ﴿ **لا تجد قوْمًا يؤمنون باللّه واليَوم الآخر يُوآدونَ مَنْ حَادَّ اللّه وَرَسُوله وَلَوْ كَانُوا آباءهم أو أبناءهم أوإخوَانهم أوعَشيرتَهم** ﴾ . [آية : ٢٢]

وقال تعالى في سورة التوبة : ﴿ **يا يها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون** ﴾ . [آية : ٢٣]

وقال سبحانه في سورة التوبة أيضًا : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبيّن له أنه عدوّ للّه تبرأ منه ، إن إبراهيم لأوّاه حليم** ﴾ . [آية : ١١٤]

من هذه النصوص يتبيّن أن هجر ذوي القرابة والنسب إن كانوا مصرين على الكفر فإن هجرهم من مستلزمات الإيمان ، ومقتضيات الإسلام ؛ ذلك لأن الإسلام يعتبر رابطة الأخوّة الإسلامية فوق كل رابطة ، وآصرة العقيدة الربانية فوق كل آصرة . .

فمبدأ الإسلام الثابت الذي لا يتبدل : ﴿ **إنّما الْمؤمنُونَ إخْوَةٌ** ﴾ . [الحجرات : ١٠]

وشعاره الدائم الذي لا يتغير : ﴿ **إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّه أتْقَاكُمْ** ﴾ . [الحجرات : ١٣]

هـ – أن تكون الأخوّة متعاونة على السّراء والضراء .

ولايمكن أن تكون كذلك إلا أن يشارك أحدهم أفراح إخوانه إذا فرحوا ، وأحزانهم إذا حزنوا . .

فإذا كان الإسلام جعل التعاون بين المسلمين في سرائهم وضرائهم أمرًا لازمًا ، وحقًا واجبًا . . فإنه في حقّ المتآخيين في الله أوجب وألزم ! ! . ذلك لأن المتآخيين في الله قد تعاهدوا فيما بينهم على أن يلتزموا منهج الإسلام قولًا وعملًا ، وعلى أن يطبّقوا شريعة الله جملة وتفصيلًا . . وأن لا يحيد أحدهم عما يتطلّبه الدين منه قيد شعرة ، وأن لا يشذّ عن منهج الله في عمله وسلوكه مثقال ذرّة ! ! .

فإن الإسلام مثلًا حين يقول :

- ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ . [المائدة : ٢]
- " لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه " .
- " من كان معه فضل ظَهْرٍ (أي مركوب) فليعُدْ به على من لا ظهر له ، ومَن كان معه فضل زاد فليعُدْ به على مَنْ لا زاد له " .
- " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يُسْلِمُهُ ، مَنْ كان في حاجة أخيه كان الله في حاجتـه ، ومَنْ فرّج عن مسلم كُرْبَةً فرّج الله عنه بها كُرْبَةً من كُرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة " .
- " مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاونهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهرّ والحّمى " .

فيدخل في هذا الخطاب الذين تآخَوْا في الله دخولًا أوليًا ، لكونهم أولى من غيرهم في تطبيق مبادىء الشريعة ، والتزام أنظمة الإسلام . .

وهكذا – إخوة الإسلام – :

لما تكون الأخوّة خالصة لوجه الله . .

ولما تكون مقرونة بالإيمان والتقوى . .

ولما تكون ملتزمة منهج الإسلام . .

ولما تكون قائمة على النصح في الله . .

ولما تكون متعاونة على السّراء والضراء . .

لما تكون الأخوّة متصفة بهذه الصفات ، منفّذة هذه الشرائط ، سائرة على هذا النهج . . فلن تتأثر بحادثات الليالي ، ولا تنال منها نوازل الأيام . . بل ستبقى دائمة كالكون ، قوية كالجبل ، مشرقة كالشمس ، متجدّدة كاليل والنهار . .

٤ – وسائل التعميق لروح الأخوّة

والإسلام وضع من المبادئ العملية ، والوسائل الإيجابية في توثيق عرى المحبة ، وتعميق روح الأخوّة . . ما إن أخذ بها المتآخون في الله ، وعملوا على مقتضاها زادت أخوّتهم مع الأيام توثيقًا وتمتينًا . .

وإليكم – إخوة الإيمان – أظهر الوسائل في تعميق روح الأخوة :

أ – إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبّه .

وذلك لما روى " **أبو داود والترمذي** " عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أحبّ الرجل أخاه فليخبره أنه يحبّه " .

وروى " **أبو داود** " بإسناد صحيح عن أنس رضي الله عنه أن رجلًا كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فمرّ رجل به فقال يا رسول الله إني لأُحبُّ هذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أأعلمته ؟ قال: لا ، قال عليه الصلاة والسلام : أعلمه ، فلحقه فقال : إني أحبّك في الله . فقال الرجل : أحبّك الله الذي أحببتني له .

ب – إذا فارق الأخ أخاه فليطلب منه الدعاء في ظهر الغيب .

وذلك لما روى " أبو داود والترمذي " عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : استأذنتُ النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فأذن لي وقال : " لا تنسنا يا أخي من دعائك "، فقال كلمةً ما يسرني أن لي بها الدنيا ، وفي رواية قال : " أشركنا يا أخي في دعائك"

وروى مسلم في صحيحه عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : " ما من عبد مسلم يدعوا لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك : ولك بمثل " .

ج – إذا لقي الأخ أخاه فليطلق وجهه عند اللقاء .

وذلك لما روى " **مسلم** " عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تحقرَنّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق " أي بوجه متهلّل بالبشر والتلطف والابتسام . .

د – إذا لقي الأخ أخاه فليبادر إلى مصافحته .

وذلك لما روى " **أبو داود** " عن البراء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما مِنْ مُسْلمَيْنِ يَلتَقِيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يفترقا " .

هـ – أن يكثر من زيارة أخيه بين كل فترة وفترة .

وذلك لما روى " **مالك** " في الموطأ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " قال الله تعالى : وجبت محبّتي للمتحابّين فيّ ، والمتجالسين فيّ ، والمتبادلين فيّ " .

و – أن يهنئه ويدخل السرور عليه عند بزوغ المناسبة .

وذلك لما روى " **الطبراني** " في الصغير عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ لقي أخاه بما يحبّ ليَسَره ذلك سرّه الله عز وجل يوم القيامة " .

والأفضل أن يتقيد بلفظ التهنئة بالمأثور :

– كأن يقول للأخ إذا ولد مولود : (بورك لك بالموهوب وشكرت الواهب ، ورزقت برّه ، وبلغ أشدّه)[1] .

– وأن يقول للأخ إذا قدم من سفر : (الحمد لله الذي سلّمك ، وجمع الشمل بك وأكرمك)[2] .

– وأن يقول للأخ إذا قدم من جهاد : (الحمد لله الذي نصرك ، وأعزّك وأكرمك) [3] .

– وأن يقول للأخ إذا قدم من حجّ : (قبل الله حجك وغفر ذنبك ، وأخلف نفقتك) [4] .

---

[1] مرويّ عن سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما .
[2] مروي عن السلف .
[3] رواه مسلم والنسائي عن عائشة رضي الله عنها .
[4] رواه ابن السنّي عن ابن عمر رضي الله عنهما

– وأن يقول للأخ إذا تزوج : " بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير" [١] .

– وأن يقول له بعد صلاة العيد : " تقبّل الله منا ومنك " [٢]

– وأن يقول له إذا صنع له معروفًا : " بارك الله لك في أهلك ومالك وجزاك الله خيرًا " [٣] .

ز – أن يقدم له الهدية إذا وجدت المناسبة .

وذلك لما روى " **الديلمي** " عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا : " عليكم بالهدايا فإنها تورث المودة ، وتذهب الضغائن "

وروى " الطبراني " عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا : " تهادوا تحابّوا " .

ح – أن يُبْدي له اهتمامًا بالغًا في قضاء حوائجه .

وذلك لما روى " **مسلم** " عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من نَفَّسَ عن مؤمن كُرْبةً من كُرَب الدنيا نَفَّس الله عنه كُرْبة من كُرَب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومَنْ ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة ، واللّه في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه " .

ط – وأخيرًا أن يؤدي له حقوق الأخوة كاملة .

كعيادته إذا مرض ، وإجابة دعوته إذا دعاه ، وتشميته إذا عطس ، ومناصرته إذا ظُلم . . . وسيأتي تفصيل ذلك في بحث " حقوق الأخوّة " إن شاء الله .

ومما لا يختلف فيه اثنان – أيها الإخوة الأحباب – أن المسلم إذا أخبر أخاه أنه يحبّه ، وإذا علم أنه يدعو له في ظهر الغيب ، وإذا ابتدره بالبشر وبالمصافحة عند اللقاء، وإذا هنّأه وقدّم له الهدية عند وجود المناسبة ، وإذا سارع إلى زيارته بين كل فترة وفترة ، وإذا أبدى له اهتمامًا عظيمًا في قضاء حوائجه ، وشاركه وجدانيًا للتخفيف من آلامه وأحزانه . . لا يختلف اثنان أن الأخ إذا قام بتنفيذ هذه

---

[١] روه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه
[٢] مروي عن واثلة بن الأسقع .
[٣] رواه النسائي وابن ماجه .

الوسائل على الوجه االأكمل نحو أخيه توثقت بينهما عرى المودة ، وتعمقت معاني المحبّة ، وتمتّنت أخوة الإسلام . . بل زادتها الأيام توثيقًا وتعميقًا ! ! . .

صحيح أن هذه الوسائل في تعميق الأخوّة هي على سبيل النّدب والاستحباب ، ولكنّها في حقّ المتآخيين في الله على سبيل الحتم والإلزام ، لأنه كما يقولون : "حسنات الأبرار سيئات المقرّبين " ، " وما يطلب من الخاصة لا يطلب من العامة " . . ولا شك أن المتآخين في الله حين يلتزمون عَقْد الأخوّة كما يأمر به الإسلام ، أعطوا لغيرهم قدوة خير ، وأسوة هدى ، فبهداهم يهتدي الناس ، وبقدوتهم تتأسّى العامة . .

٥ – حقوق الأخوّة في الله

حقوق الأخوة في نظر الإسلام تقسم إلى قسمين :

أ – حقوق عامّة . ب – حقوق خاصّة .

أما الحقوق العامة فتتناول الأمور التالية :

١ – إفشاء السلام .

٢ – ردّ السلام .

٣ – عيادة المريض .

٤ – اتّباع الجنائز .

٥ – إجابة الدعوة [١] .

٦ – تشميت العاطس .

٧ – إبرار المقسم [٢] .

٨ – نصر المظلوم .

٩ – الاهتمام بالمنصوح له .

١٠ – التنفيس عن المكروب .

١١ – التيسير على المعسر .

١٢ – الإغضاء عن العيوب .

١٣ – الابتعاد عن الأذى كالحسد والتباغض والظلم والتحقير . .

إلى غير ذلك من هذه الحقوق الأخويه الازمة ، والمباديء الاجتماعية الواجبة . .

---

[١] **إجابة الدعوة إلى فرح أو مناسبة كوليمة العرس .**
[٢] **كأن يقسم عليه بالله في أن يفعل كذا .**

وذلك للأحاديث التالية :

روى " **مسلم** " عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " حق المسلم على المسلم ست : إذا لَقِيْتَهُ فسلّم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمّته ، وإذا مرض فعُدْه ، وإذا مات فاتبعه " .

وروى " **الشيخان** " عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : " أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع : أمرنا بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس ، وإبرار المُقْسم ، ونصر المظلوم ، وإفشاء السلام . . . " .

وروى " **مسلم** " عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(مَنْ نفّس عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا نفّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة ، ومَنْ يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومَنْ ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عَوْن العبد ما دام العبد في عَون أخيه) .

روى " **البخاري** " عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إيّاكم والظّن فإن الظّن أكذب الحديث ، ولا تحسّسوا ، ولا تجسّسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانًا . . المسلم أخو المسلم : لا يظلمه، ولا يخذله ، ولا يحقره ، التقوى ههنا (ويشير إلى صدره) ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله . .) .

أما الحقوق الخاصة :

فهي أجل وأعظم وأهم وأكبر ، لأنها قائمة على استخلاص الصفوة المختارة من إخوة الإيمان ، وجيل الإسلام . . هذه الصفوة اختارها المسلم لنفسه ، واستخلصها لشخصه ، لتكون له في الحياة عونا

على الشدة ، وسندا في المحنة ، ومستودعا للسّر ، ومرجعًا للشورى ، ومرآة للنصح ، وتسلية للعزاء ، ومشاركة للفرح . .

لذا يجب أن يعرف المسلم أهمّ بنودها ، وأظهر وسائلها ، حتى يقوم بأدائها على الوجه الأكمل :

١ – ما ذكرناه عن الحقوق العامة ، فإنه يندرج اندراجًا أوليًا في الحقوق الخاصة .

لذا وجب على الأخ تجاه من يصطفي من أصدقاء ، ويختار من إخوة . . أن يرد عليهم السلام إذا سلموا ، وأن يعودهم إذا مرضوا وأن يشيّعهم إذا ماتوا ، وأن يجيب دعوتهم إذا دعوا ، وأن يشمّتهم إذا عطسوا ، وأن يبر قسمهم إذا أقسموا ، وأن ينصرهم إذا طلموا ، وأن ينصحهم إذا استنصحوا ، وأن ينفس عن كُربهم إذا أصيبوا، وأن يقدّم لهم يَدَ العون إذا أعسروا ، وأن يتغاضى عن عيوبهم إذا أساءوا ، وأن يبتعد عن كل ما يضرّهم في مال ، أو نفس ، أو عرض ، أو كرامة . . أينما وُجدوا . . .

٢ – جواز الأكل من بيت الصديق بدون علمه إو اذنه .

لقوله تبارك وتعالى في سورة النور : ﴿ **ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ، ولا على المريض حرج ، ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم . . أو صديقكم ، ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا أو أشتاتًا . . .** ﴾

[من الآية : ٦١]

وقد ذكر العلماء تعقيبًا على قوله تبارك وتعالى : ﴿ **ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم** ﴾ .

" فليس في هذا الإذن للناس في أكلهم من بيوتهم ، وإنما هو يؤكد لهم أن ليس أكلهم من بيوت أقربائهم أو أصدقائهم إلا مثل أكلهم من بيوتهم أنفسهم ، وإلاّ فمن الظاهر أن لا حاجة أصلًا لإذن الناس في أن يأكلوا من بيوتهم أنفسهم " [١] .

[١] ارجع إلى ما كتبه العلّامة المرحوم " أبو الأعلى المودودي " في كتابه تفسير سورة النور ، في تفسيره لهذه الآية .

فبناء على هذا الفهم للآية يجوز للصديق أن يأكل من بيت صديقه ، أو قريبه كما يجوز أن يأكل من بيته سواء بسواء .

ومما يؤكد هذا استدلال الإمام القرطبي رحمه الله فيما سرده من وقائع وأمثلة مؤيدة هذا الجواز في معرض تفسير هذه الآية : ﴿ **أو صديقكم** ﴾ .

ذكر محمد بن ثور عن معمر قال : " دخلتُ بيت قتادة فأبصرتُ فيه رطبا فجعلتُ آكله ، فقال ما هذا ؟ فقلت : أبصرتُ رُطَبًا في بيتك فأكلته ، قال : أحسنت، قال تعالى : ﴿ **أو صديقكم** ﴾ .

وقال معمر : قلت لقتادة : ألا أشرب من هذا الحُبّ (الخابية) ، قال : أنت لي صديق ! فما هذا الاستئذان ؟ .

وكان عليه الصلاة والسلام يدخل حائط أبي طلحة (أي بستانه) المسمّى "بَيْرَحاء " ويشرب من ماء فيها طيّب بغير إذنه .

٣ – تحريم الهجر أكثر من ثلاثة أيام إذا كان الهجر لأسباب شخصية .

لما روى " **الشيخان** " عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال [1] ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام " .

أما إذا كان الهجر لأسباب دينيّة فيجوز الهجر أكثر من ثلاثة أيام كما سبق ذكره.

غير أن أبا الدرداء رضي الله عنه يرى أن لا تدع أخاك إذا تغيّر وتحول عما كان عليه، فإنه يعوجّ مرة ويستقيم .

وقد وقف إبراهيم النخعي رحمه الله في صفّ أبي الدرداء ورأى رأيه حين قال : (لا تقطع أخاك ولا تهجره عندالذنب فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدًا) .

---

[1] وهذه المدة كافية ليعود كل منهما إلى عقله الرزين ورشده الأصيل .. فإذا زادت وقع كل منهما في الإثم .

وقد ذهب الإمام الغزالي مذهب أبي الدرداء وإبراهيم النخعي رضي ا لله عنهما حين قال :

" **إننا إذا قطعنا صلتنا بأخينا خسرنا فرصة إعادته إلى الصراط السويّ ، لأنه كان يدّخرنا إلى اليوم الذي يقع فيه فنرفعه ، أو يعثر فنقيل عثرته . .** " ؛ **وأشار إلى أن الأخ يجب عليه إعانة أخيه عند افتقاره في ماله ، وفقر الدّين أشدّ من فقر المال ، فإعانته عند فقره في دينه أولى .**

ولا شك أن هذا الذي ذهب إليه الصحابي الجليل أبو الدرداء ، والتابعي إبراهيم النخعي ، وحجةُ الإسلام الإمام الغزالي **محمول على أن الأخ المسلم إذا ارتكب الذنب يرجى خيره إذا لازمناه ، ويؤمل منه ترك المنهيات إذا احتضنّاه ونصحناه . . أما إذا بقي مصرًّا على المعصية ، سادرا في اللثم ، لم تنفع معه الموعظه ولا الذكرى ، ولا النصح . . فهجره – وهو على هذه الحال – من أوثق عرى الإيمان .**

٤ – التفاعل مع الأخوّة في كل الأمور والأحوال .

لقوله عليه الصلاة والسلام : " مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " [١] ؛ ولقوله : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [٢] . وهذا التفاعل يجب أن يبلغ مداه في إيثار المال ، وقضاء الحوائج ، والمشاركة في المحنّة . .

أما إيثار المال : فلقوله تبارك وتعالى ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ .

[الحشر : ٩]

وأما قضاء الحوائج فلقوله عليه الصلاة والسلام : " والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه" .

---

[١] رواهما الشيخان .
[٢] رواهما الشيخان .

وأما المشاركة في المحبة فلقوله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ نفَّس عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا نفَّس الله عنه كُرْبة من كُرب يوم القيامة . . " .

وإليكم بعض النماذج في تفاعل الإخوة المؤمنين في إيثارهم وقضاء حوائجهم ومشاركتهم الوجدانية :

* جاء " فتح الموصلي " إلى منزل أحد إخوانه وكان غائبا ؛ فأمر أهله فأخرجت صندوق ماله ، ففتحه وأخذ حاجته منه ؛ فأخبرت الجارية مولاها بعد أن حضر ، فقال الصديق : إن صدقتِ فأنت حرّة لوجه الله . سرورا بما فعل أخوه .

* قال " عليّ بن الحسين " رضي الله عنه لرجل : هل يدخل أحدكم يده في كُمّ أخيه (أي جيبه) أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه ؟ قال : لا ، قال : فلستُم بإخواني ! ! .

* قال أحدهم إذا طلبت من أخيك مالا فقال : ماذا تصنع به ؟ فقد ذهب حق الإخاء ! ! .

* كان على مسروق دَيْن ثقيل ، وكان على أخيه خيثمة دَيْن أيضا ، فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم ، وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ! ! .

* قضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض إخوانه ، فجاءه بهدية ، فقال ابن شبرمة : ما هذا ؟ قال أخوه : لما أسديته إلي من المعروف . . قال ابن شبرمة : خذ مالك عافاك الله ؛ إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها ، فتوضّأ للصلاة ، وكبر عليه أربع تكبيرات ، وعدّه في الموتى ! ! .

* روي أن أحد الخلفاء أمر بضرب رقاب ثلاثة من الصالحين ، فيهم أبو الحسين النوري ، فتقدم أبو الحسين ليكون أول من تضرب عنقه ؛ فعجب الخليفة لذلك وسأله عن سببه ، فقال أبو الحسين رحمه الله : أحببتُ أن أُوثر إخواني بالحياة في هذه اللحظات ، فكان ذلك سبب نجاتهم جميعًا .

من هذه النماذج تعلم أن الأخوّة في الله تفاعل متبادل ، وإيثار فريد ، ومشاركة وجدانية صادقة ، ومحبة قلبية خالصة ، ومضرّة للأخ لينتفع الصديق ، وتبديد للشمل لينعم الرفيق .

وما أحسن ما قال بعضهم :

إن أخاك الصدق مَنْ كان مَعَكْ ومن يضر نفسه لينفعَكْ

ومَنْ إذا ريب الزمان صَدَعَكْ بدّد فيه شمله ليجمعَكْ

٥ – التغاضي عن الأخطاء وستر العيوب وحفظ الغيبة

لما روى " **مسلم** " عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا يستر عبد عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة " ، وفي رواية : " ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة " ؛ وروى " **مسلم** " عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه)[1] . فمن هذه الأحاديث يتبين أنه لا يجوز للأخ تجاه أخيه أن يُفشي له سرًا وأن يلقّبه بما يكره ، وأن يكشف له عيبًا وجده فيه ، وأن يذكره في غيبته بخصاله الذميمة . . فإذا رأى الأخ من أخيه عيبًا فلا يشهر به ، ولا يذكره أمام الناس ، بل عليه أن يخلو به سرًا ، وينصحه ، بما تقضيه النصيحة ، لأن النصح بين الناس ، وتعداد العيوب أمام الملأ نوع من التوبيخ ، والفضيحة للأخ المنصوح . ورحم الله من قال :

تعمدني بنصحك بانفرادي وجنّبني النصيحة في الجماعَةْ

فإن النّصح بين الناس نوع من التّوبيخ لا أرضى استماعَهْ

ولا شك أن النصيحة حينما تكون خالصة لوجه الله ، حاصلة في السر : فالاستجابة لها من قبل الأخ المنصوح متحققة خصوصًا وهو يقرأ قوله تبارك وتعالى : ﴿ **والعَصْرِ إنَّ الإنْسَانَ لَفي خُسْر ، إلاَّ الذّينَ آمنوا وَعَملوا الصَّالحاتِ وتَواصَوا بالْحَق وَتواصوا بالصَّبْرْ** ﴾ . [سورة العصر]

ومن أدب المؤمن أن لا يضيق بالنصيحة ذرعًا للحديث الذي سبق ذكره . . " الدين النصيحة . . " ، ورضي الله عن عمر حين قال : " رحم الله امرأً أهدى إليّ عيوبي " .

---

[1] **البهتان : أشدّ أنواع الكذب .**

ومن واجب المؤمن أن يتقبّل النصيحة في الله بصدر منشرح ، ونفس رضيّة ، وقلب مطمئن . . لأن أخاه لم يُرد من النصح انتقاصه ، وإنما أراد تجنيبه إثمًا وقع فيه ، أو تحذيره شرًا تعثّر به . . رحمةً به ، ووفاء لأخوته .

وعلينا أن نضع في حُسباننا أن الإنسان مهما بلغ رتبة الصلاح والتقوى ، فلا يخرج عن كونه بشرًا يخطئ ويصيب ، ويتعثر ويستقيم . . ولكن من مزية المؤمن أنه إذا أصابه طائف من الشيطان تذكّرفإذا هو مُبْصر ، وأنه إذا وقع في الخطأ أسرع إلى التوبة فإذا هو من عباد الله المخلصين . وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم القائل : " كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون " .

وعلينا أن نضع في حسباننا أيضًا أن العفو من شيم الكرام ، وأن الرحمة من خصال المؤمنين قال تعالى : ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين** ﴾ [الشورى: ٤٠] وقال أيضًا : ﴿ **محمد رسول اللّه والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وقال كذلك ﴿ **فسوف يأتي اللّه بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾ [المائدة : ٥٤] .

وهل تكون يا أخا الإسلام كريمًا إن لم تعف عن إساءة أخيك ؟ ، وهل تكون رحيمًا إن لم تتغاض عن زلّة صديقك ؟ ، وكيف تكون ذليلًا على المؤمن إن لم تصبر عليه إذا هفا وتصفح عنه إذا أخطأ ؟ وكفى المرء نبلًا أن تعدّ معايبه ! ! .

ولله درّ من قال :

إذا كنت في كل الأمور معاتبًا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدًا أوصلْ أخاك فإنه مقارف ذنب تارة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مرارًا على القذى ظمئت وأيّ الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلها كفى المرء نبلًا أن تعد معايبه

وهذا التغاضي عن زلّة الأخ ، والعفو عن هفوة الصديق لا يمنع من نصحه على انفراد ، ولا يسقط واجب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، إذا وقع في الإثم ، لأنه لا خير في الإخوة المتآخين في

الله إن لم يتواصوا بينهم بالحق ، ولا وزن لهم عند الله إن لم يتناصحوا في اللّه ، ولا اعتبار لهم في ميزان الشريعة إن لم يتآمروا بالمعروف، ويتناهوا عن المنكر .

ذلك لأن الإسلام يعتبر التناصح في الله من أسس الشريعة ، والتواصي بالحق من مستلزمات الإيمان ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مبادئ الإسلام .

ولقد لعن الله الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود ، وعيسى ابن مريم ، لكونهم لم يتواصوا بالحق ولم يتناصحوا في الله ، ولم يتناهوا عن منكر فعلوه . . قال تعالى : ﴿ **لُعِنَ الذينّ كَفَرُوا منْ بَني إسْرائيل عَلى لسَان دَاوُد وَعيسى بن مَرْيمَ ذَلكَ بمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كانوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكَر فَعَلُوه لَبئس مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ .

[المائدة : ٧٨ ، ٧٩]

تلكم – يا إخوة الإيمان – حقوق الأخوّة في الله ، وواجبات المسلم تجاه إخوة الإسلام ولقد رأيتم أن من هذه الحقوق حقوقًا عامة وتشمل كل مسلم آمن بالله ربًا وبالإسلام ، دينًا ، وبالقرآن إمامًا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولاً ، ولا سيما إن كان جارًا له في حيّ ، أو صاحبًا له في معمل أو وظيفة ، أو قريبًا تجمعه وإياه قرابات الرَّحم [1] أو وشائج النسب أو روابط العشيرة . . فحقّ المسلم على المسلم – كما سبق ذكره – أن يبادره بالسلام إذا رآه ، ويعوده إذا مرض ، ويشيّعه إذا مات ، ويجيب دعوته إذا دعاه، ويشمّته إذا عطس ، ويبرّ قسمه إذا أقسم ، وينتصر له إذا ظُلم ، وينصحه إذا انحرف ، وينفس كربته إذا أُصيب ، ويقرضه إذا أُعسر ، ويستر عليه إذا هفا . .

ولقد رأيتم أيضًا أن **من هذه الحقوق حقوقًا خاصة** وتشمل الأخ الذي أحببته في الله ، والصديق الذي استخلصته لنفسك ، وابن الدعوة الذي تعمل معه من أجل إعلاء كلمة الإسلام . . فهؤلاء جميعًا لهم من الحقوق الأخوية الواجبة ما بيناه مفصلاً باستيفاء . .

---

[1] قرابات الرحم من أبوين ، وأخوة ، وأخوات ، وأعمام .. حقوقهم في الشرع عظيمة ، وهي أكثر من هذه الحقوق ، ولا مجال لتبيانها في هذا المقام .

ولقد رأيتم يا إخوة الإسلام :

أن من هذه الحقوق جواز الأكل من بيت الصديق بدون علمه ، أو اذنه . .

وأن من هذه الحقوق تحريم الهجر أكثر من ثلاثة أيام .

وأن من هذه الحقوق التفاعل مع الإخوة في كل الأمور والأحوال . .

وأن من هذه الحقوق ستر العيوب ، وحفظ الغيبة ، والتغاضي عن الأخطاء ، فضلًا عن الحقوق العامة التي تندرج اندراجًا أوليًا في الحقوق الأخوية الخاصة .

ولا شك أن المجتمع المسلم حينما تتجسّد فيه هذه المعاني من التزام الحقوق ، وتتعمّق بين أبنائه هذه المبادئ في استشعار المسؤولين . . يكون مجتمعًا قويًا متراصًا متوادًّا متعاطفًا متراحمًا . . لا يمكنه بحال أن يتزعزع للنوازل ، ولا أن يستسلم للأعداء، ولا أن يطير شعاعًا أمام حادثات الليالي ! ! .

ولكن – ويالللأسف – نرى أكثر هذه الحقوق غير متحققة في واقع المسلمين ، وغير متأصلة في كيانهم ومجتمعاتهم ، بل نجد خصال الأنانية والأَثَرة وحبّ الذات ، وداء الجشع والحسد والكبر . . متغلغلة في الكبار والصغار ، والشّيب والشباب ، والرجال والنساء والخاصة والعامة . . وما ذاك إلا لانحراف أكثر المسلمين عن التربية الإسلامية الرائدة ، وبعدهم عن المبادئ القرآنية الخالدة . .

ولكن والحمد الله – ألمح في الأفق البعيد طلائع الإسلام من أبناء الجيل المسلم تتحرك هنا وهناك ، وتنبثق من مجتمعات الإسلام في كل مكان . . وقد أعطوا للمجتمعات التي تحركوا فيها ، وانبثق نورهم في أرجائها . . القدوة الطيبة في كريم أخلاقهم ومعاملتهم ، والأسوة الحسنة في عظيم حبّهم وإخائهم .

وعلى أيدي أولئك الأطهار فسيتحقق نصر الإسلام إن شـــــــاء الله ، وبفضل أخوتهم ، وتماسكهم ستقوم دولة المسلمين . . ويسألونك متى هو فقل عسى أن يكون قريبًا ؟ .

٦ – نماذج من التاريخ في حقوق الأخوّة

وكان من نتيجة هذه الحقوق الأخوية التي وضع أصولها الإسلام أن تعامل أفراد المجتمع الإسلامي عبر التاريخ ، وخلال العصور على أحسن ما تعاملت به الإنسانية فيما بينها في تاريخها الحافل الطويل تكافلًا وإيثارًا ورحمةً وتعاونًا وصفحًا ومحبةً وبذلًا . . فاسمعوا إلى هذه النماذج الخالدة التي ضمّها التاريخ في ثناياه .

ففي مجال التكافل والرحمة :

قال محمد بن إسحق : (كان أناس بالمدينة يعيشون ولا يدرون من أين يعيشون؟ ومن يعطيهم ؟ ، فلما مات زين العابدين بن الحسين رضي ا لله عنهما ، فقدوا ذلك ، فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم بالليل بما يأتيهم به ، ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب (أي الكيس) إلى بيوت الأرامل والمساكين) .

وكان الليث بن سعد ذا غلة سنوية تزيد على سبعين ألف دينار ويتصدق بها كلها حتى قالوا إنه لم تجب عليه زكاة قط ، واشترى مرة دارًا بيعت بالمزاد ، فذهب وكيله يتسلمها فوجد فيها أيتامًا وأطفالًا صغارًا ، وسألوه با لله أن يترك لهم الدار ، فلما بلغ ذلك الليث أرسل إليهم أن الدار لكم ، ومعها ما يصلحكم كل يوم .

وكان عبد الله بن المبارك الإمام الكبير المحدث كثير الصدقات تبلغ صدقاته في السنة أكثر من مائة ألف دينار ، خرج مرة إلى الحج مع أصحابه ، فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر ، فأمر بإلقائه على مَزْبَلَةٍ هناك ، وسار أصحابه أمامه ، وتخلّف هو وراء هم ، فلما مرّ بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها ، فأخذت ذلك الطائر الميت ، فسألها عن ذلك فأخبرته أنها وأخاها فقيران لا يعلم بهما أحد ، ولا يجدان شيئًا ؛ فأمر ابن المبارك بردّ الأحمال ، وقال لوكيله : كم معك من النفقة ؟ قال :ألف

دينار ، فقال له : عُدّ منها عشرين دينارًا تكفينا إلى " مرو " ، وأعطها الباقي فهذا أفضل من حجّنا في هذا العام ، ثم رجع فلم يحجّ !! .

وفي مجال الإيثار والمواساة :

ذكر الغزالي في الإحياء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أَهديَ إلي رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة ، فقال فلان أحوج إليه مني ، فبعث به إليه ، فبعث هو أيضًا إلى آخريراه أحوج منه ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة .

روى " الحاكم " في المستدرك أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بعث بثمانين ألف درهم إلى عائشة رضي الله عنها ، وكانت صائمة ، وعليها ثوب خَلَقَ (أي قديم) ، فوزعت هذا المال من ساعتها على الفقراء والمساكين . . ولم تُبق منه شيئًا ، فقالت لها خادمتها : يا أمّ المؤمنين ما استطعت أن تشتري لنا لحمًا بدرهم تفطرين عليه ، فقالت : يابنيّة لو ذكرتني لفعلتُ .

فآثرت غيرها ، ونسيت نفسها في سبيل إسعاد أبناء مجتمعها المسلم .

ومن عجائب الإيثار ما ذكره العدوي – كما روى القرطبي – حين قال : (انطلقتُ يوم اليرموك أطلب ابن عمّ لي ، ومعي شيء من الماء ، وأنا أقول إن كان به رمق سقيتُه ، فإذا أنا به ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار برأسه أن نعم ،فإذا برجل يقول : آه . . آه . . فأشار إلىّ ابن عمي أن انطلق إليه ، فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار أن نعم ، فسمع آخر يقول : آه . . آه . . ! فأشار هشام أن انطلق إليه فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعتُ إلى ابن عمي فإذا هو قد مات " ولم يشرب أحدُ الماء لإيثار كل واحد منهم صاحبه .

*** وفي مجال الحلم والصفح :**

مما جاء في أسباب النزول أن قريبًا لأبي بكر رضي الله عنه اسمه " مسطح " كان يعيش على إحسان أبي بكر وكفالته ، لم يتورّع عن الخبط في عرض السيدة عائشة رضي الله عنها لما شيّع عليها المنافقون ما شيّعوا في حادثة الإفك والاتهام ، فنسي مسطح بذلك حق الإسلام ، وحق القرابة ، وحق

الإحسان . . مما أثار حفيظة أبي بكر رضي الله عنه ، ودفعه يحلف أن يهجر قريبه هذا ، وأن لا يصله ؛ فنزل قوله تعالى : ﴿ **ولا يأتل** [1] **أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم** ﴾ . [النور : ٢٢]

فعفا عنه أبو بكر رضي الله عنه وصفح ، وعاد إلى عطائه الأول قائلًا : إني أحبّ أن يغفر الله لي .

□روى " البخارى " عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قدم عُيَيْنَة بن حصين نزل على ابن أخيه الحّر بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضي الله عنه إذ كان من قرّاء أصحاب مجلس أمير المؤمنين ومشاورته ، كهولًا كانوا أو شبانًا . .

فقال عيينه : " استأذن لي على أمير المؤمنين ، فاستأذنه له ، فلما دخل قال : هيه يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل (أي ما نستحقه من العطاء) ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى همّ أن يوقع به .

فقال الحر بن قيس : يا أمير المؤمنين ، إن الله يقول لنبيّه : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ ، وإن هذا من الجاهلين ، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقّافا عند كتاب الله عز وجلّ ! ! .

□ومما يروى عن زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما أنه خرج مرة إلى المسجد فسبّه رجل ، فقصده غلمانه ليضربوه ويؤذوه ، فنهاهم زين العابدين ، وقال لهم : كفّوا أيديكم عنه ، ثم التفت إلى ذلك الرجل وقال : يا هذا ، أنا أكثر مما تقول، وما لا تعرفه مني أكثر مما عرفته ، فإن كان لك حاجة في ذكره ذكرتُه لك ، فخجل الرجل واستحيا ، فخلع زين العابدين قميصه ، وأمر له بألف درهم ، فمضى الرجل وهو يقول : أشهد أن هذا الشابّ ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

[1] ولا يأتل : ولا يحلف .

ومما يروى عنه كذلك أن غلامه كان يصبّ له الماء بإبريق مصنوع من خَزَف (من طين) ، فوقع الإبريق على رجل زين العابدين فانكسر ، وجرحت رجله ، فقال الغلام على الفور : – يا سيدي – يقول الله تعالى : ﴿ **والكاظمين الغيظ** ﴾ ، فقال زين العابدين : لقد كظمت غيظي ، ويقول : ﴿ **والعافين عن الناس** ﴾ ، فقال : لقد عفوتُ عنك ، ويقول : ﴿ **واللّهُ يحبّ المحسنين** ﴾ فقال زين العابدين : أنت حرّ لوجه الله ! ! .

***وفي مجال المحبة وردّ اللهفة :**

روى مالك في الموطأ عن أبي إدريس الخولاني رحمه الله قال : دخلتُ مسجد دمشق فإذا فتىً برّاق الثنايا (كثير التبسم) ، وإذا الناس معه ، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه ، وصدروا عن رأيه ، فسألت عنه فقيل : هذا معاذ بن جبل رضي الله عنه، فلما كان من الغد هجّرتُ (أي بكَرت إلى المسجد مسرعًا) فوجدتُه قد سبقني بالتهجير ووجدتُه يصلّي ، فانتظرتُه حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه فسلّمتُ عليه ثم قلتُ : والله إني لأحبّك ، فقال : آللهِ ؟ فقلتُ : ا لله ، فأخذني بحُبْوَةِ ردائي فجذبني إليه ، فقال : أبشِرْ فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " قال الله تعالى : وجبتْ محبتي للمتحابّين فيّ ، والمتجالسين فيّ ، والمتباذلين فيّ " .

وروى مالك في الموطأ عن الطُّفَيْل بن أُبيّ بن كعب أنه كان يأتي عبد الله بن عمر فيغدو معه إلى السوق قال : فإذا غدونا إلى السّوق لم يمر عبد الله بن عمر على سقّاط (بياع رديء المتاع) ولا صاحب بَيْعَة (بياع نفيس المتاع) ، ولا مسكين ، ولا أحد إلا سلّم عليه ، قال الطفَيْل : فجئتُ عبد ا لله بن عمر فاستَتْبعني (طلب مني أن أتبعه) إلى السوق ، فقلت له : ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السّلع ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق ؟ فقال : يا أبا بطن – وكان الطُفَيْل ذا بطن – إنما نغدو من أجل السلام (أي إفشاؤه) ، نسلّم على مَنْ لقيناه .

كان لأبي حنيفة رحمه الله ، جار بالكوفة إذا انصرف من عمله يرفع صوته في بيته منشدًا هذا البيت :

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثَغْر

فسمع الإمام أبو حنيفة إنشاده لهذا البيت في كل ليلة ؛ فاتفق أن أخذ الحرس في ليلة من الليالي هذا الجار وحبسوه ، ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة ، وسأل عنه في الغد ، فأخبروه بحبسه ، فركب إلى الأمير " عيسى بن موسى " ، وطلب منه إطلاق الجار ، فأطلقه في الحال ، فلما خرج الفتى دعا به الإمام أبو حنيفة ، وقال له سرًا : فهل أضعناك يا فتى ؟ .

قال : لا ، ولكن أحسنت وتكرمت ، أحسن الله جزاءك وأنشد :

وما ضرنا أنا قليل وجارُنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

*** وفي مجال البذل والعطاء :**

روى " الطبراني " في الكبير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار ، فجعلها في صرة ، ثم قال لغلامه : اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ، ثم تشاغل في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع ؟ فذهب بها الغلام إليه . . فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذا في بعض حاجتك ، فقال أبو عبيدة : وصل الله عمر ورحمه ، ثم قال : تعالي يا جارية : اذهبي بهذه السبعة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان . . . حتى أَنْفَدَها ؛ ورجع الغلام إلى عمر فأخبره ، فوجده قد أعدّ مثلها لمعاذ بن جبل ، فذهب بها إليه ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذا في بعض حاجتك ، فقال : رحم الله عمر ووصله ، تعالي يا جارية : اذهبي إلى بيت فلان بكذا ، اذهبي إلى بيت فلان بكذا . . . فاطلعت امرأة معاذ على ما فعل معاذ وقالت : نحن والله مساكين فأعطنا ، فلم يبق في الخرْقة إلا دينارين ، فرمى بهما إليها .

ورجع الغلام إلى عمر فأخبره بما رأى ، فسر بذلك فقال : " إنهم إخوة بعضهم من بعض " .

وفي عهد عمر رضي الله عنه أصاب الناس قحط وشدّة ، وكانت قافلة من الشام مكوّنة من ألف جمل عليها أصناف الطعام واللباس قد حلّت لعثمان رضي الله عنه ، فتراكض التجار عليه يطلبون أن يبيعهم هذه القافلة ؛ فقال لهم : كم تعطوني ربحا ؟ قالوا : خمسة في المائة ، قال : إني وجدتُ من

يعطيني أكثر ، فقالوا : ما نعلم في التجار من يدفع أكثر من هذا الربح ؟ فقال عثمان : إني وجدتُ من يعطيني على الدرهم سبعمائة فأكثر ، إني وجدتُ الله يقول : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللّه كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبّة ، واللّه يضاعف لمن يشاء واللّه واسع عليم** ﴾ .[البقرة : ٢٦١]

أشهدكم – يا معشر التجار – أن القافلة وما فيها من بُرّ ، ودقيق ، وزيت ، وسمن ، وثياب . . قد وهبتُها لفقراء المدينة ، وإنها صدقة على المسلمين ! ! .

روى " **الشيخان** " عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول اللهصلى الله عليه وسلم : " إن الأشعريين إذا أَرْمَلوا في الغزو (قلّت أزوادهم) أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسويّة فهم مني وأنا منهم " .

* * *

هذا غيض من فيض مما ذكره التاريخ في كريم مآثرهم ، وجميل محامدهم . . وقد تحقق في الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان . . إقامة المجتمع الفاضل الذي كان حلم المفكّرين ، وأمنية الفلاسفة منذ القدم ! ! .

وكيف لا ! ، وهم عاينوا عصر الرسالة النبوية فارتشفوا من معينها الثَرَّ ، وارتووْا من سلسبيلها الصافي الشافي .

وكيف لا ، والقاضي يجلس بينهم سنتين ولا يتخاصم إليه اثنان ؟ .

وكيف لا ، وقد حققوا فيما بينهم معاني الأخوّة الإسلامية في أجلى معانيها ؟ .

وكيف لا ، وقد جعلوا القرآن الكريم هدى ونورًا ، ومبادئ الإسلام منارًا ونبراسًا ؟ .

وإليكم ما قاله الصحابي الجليل " عبد الله بن مسعود " رضي الله عنه في تعداد فضائل الرعيل الأول من الصحب الكرام ، ووجوب التأسي بأفعالهم الحميدة وأخلاقهم الكريمة : " **مَنْ كان متأسيًا فليتأسَّ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا ،**

وأقلها تكلّفًا ، وأقومها هديًا ، وأحسنها حالًا ، اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، وآتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم " .

ولا شك أن عصري : التابعين ، وتابع التابعين هما في المرتبة الثانية في الفضل والقدوة والمآثر والخيرية . . بعد عصر الصحابة لقوله عليه الصلاة والسلام كما ثبت في الصحيح : (خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . . .) .

وظلت الأجيال المسلمة المتعاقبة عبر القرون تستقي من معين فضائلهم ، وتستضيء بنور مكارمهم ، وتنتهج في التربية نهجهم ، وتسير في بناء الحضارة والمجد سيرهم . . حتى العصرالذي انحسر فيه عن المجتمع الإسلامي حكم الإسلام ، وزالت معالم الخلافة الإسلامية في الأرض . . وأصبح الالتزام للإسلام قائمًا على أفراد وجماعات دون أن تكون للحكومات في بلاد المسلمين التزام به على أنه نظام حكم ، ومبعث نهضة ، ومنهج حياة .

واستطاع أعداء الإسلام في غضون هذا القرن أن يصلوا إلى هدفهم الخبيث ، وغرضهم الدفين . . في تحويل العالم الإسلامي إلى أمم متناحرة ، ودول متفرقة متخاصمة . . تتقاذفهم الأهواء ، وتتجاذبهم المطامع ، وتفرّقهم المبادي، وينساقون وراء الشهوات والملذات ، ويتخبطون في أوحال التحلّل والإباحية ، ويسيرون في الحياة بلا هدف ولا غاية ، ويعيشون على ظهر هذه الأرض من غير ما سعي إلى مجد مؤثل ، ووحدة إسلامية شاملة . . تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتّى ، وتراهم كثرة ولكنهم غثاء كغثاء السيل . . ولكن كما ألمحنا قبل قليل أن هذا – إن شاء الله – لن يطول أبدًا ، فلابد أن يأتي اليوم الذي تصحو فيه الأجيال المسلمة من رقدتها ، لتقيم في الأرض نظام الإسلام ، ودولة القرآن . . ولا بد أن تتحرر الشعوب الإسلامية من طواغيت المستبدين، وعدوان الظالمين ، وإلحاد الملحدين . . بفضل جهادها المتواصل ، وثورتها المستمرة ، وكفاحها الدائم . . وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر ا لله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

٧ – ثمرات الأخوّة في بناء المجد والتاريخ

من الأمور المسلّمة التي لا يختلف فيها اثنان أن الأخوة الإسلامية الصادقة حينما تتحقق معالمها في مجتمع من المجتمعات فإن هذا المجتمع يصل في بناء العزة والمجد إلى أفضل الثمرات ، وأعظم النتائج . .

وإليكم – يا إخوة الإسلام – أظهر هذه الثمرات وأميزها :

*** من هذه الثمرات تحقيق الوحدة الإسلامية المتماسكة :**

لكونها مرتبطة بالعقيدة الربانية ، وقائمة على آصرةالتقوى ، لأن شعار الإسلام الدائم الذي لا يتبدل ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ ؛ ومبدأه الثابت الذي لا يتغير ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ .

ومن المعلوم أن الإسلام بنظامه المتكامل ، وتشريعاته العالمية . . يعتبر كل دعوة إلى رابطة الجنس ، أو النسب ، أو العشيرة ، أو المصاهرة ، أو الوطنية ، أو المصالح المشتركة . . . دعوى جاهلية .

وإليكم الدليل على ذلك : قال تعالى في سورة التوبة : ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربّصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين** ﴾ . [آية : ٢٤]

– ففي قوله تعالى : ﴿ **إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم** ﴾ إشارة إلى رابطة الجنس والنسب .

- وفي قوله ﴿ **وأزواجكم** ﴾ إشارة إلى رابطة المصاهرة .
- وفي : ﴿ **وعشيرتكم** ﴾ إشارة إلى رابطة القومية .
- وفي قوله : ﴿ **وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها** ﴾ إشارة إلى رابطة المصالح .
- وفي قوله : ﴿ **ومساكن ترضونها** ﴾ إشارة الى رابطة الأرض والوطنية .
- وفي قوله : ﴿ **أحبّ إليكم من الله ورسوله . .** ﴾ تقرير لمبدإ العقيدة الإسلامية . .

والآية بمفهومها ومعناها تقرر للمسلم هذه الحقيقة : في حال اعتبار أي رابطة من روابط الجنس أو المصاهرة أو القومية أو المصالح الاقتصادية أو الوطنية . . فوق رابطة العقيدة الإسلامية زيغ وضلال ، وخروج عن ملّة الإسلام ، وانتظار لوعيد الله وعذابه وا لله لا يهدي القوم الفاسقين ! ! .

ومما يؤكد هذا ؛ هذه الأحاديث النبوية :

– روى " **أبو داود** " وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مَنْ تعزّى عليكم بعزاء الجاهلية فأعضّوه بهن أبيه ولا تكنوا " [1] .

– روى " **أبو داود** " عنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن العصبية قال : " أن تعين قومك على الظلم " .

– وروى " **أبو داود** " عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : " ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية " .

– وروى " **أبو داود والترمذي** " عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : " إن الله أذهب عنكم عُبّية الجاهلية – أي نخوتها وكِبْرها – وفخرها بالآباء " .

فمن هذه الأحاديث النبوية يتبين أن كل من دعا إلى عصبيّة نسبيّة ، أو آصرة وطنية، أو عقيدة مذهبيّة ، أو رابطة قوميّة ، . . . وتعصّب لها ، وجعلها أصلًا في الموالاة أو المعاداة وأساسًا في التناصر أو التخاذل . . يكون داعيًا إلى العصبيّة ، متعزّيًا بعزاء الجاهليّة ، خارجًا عن سنن الإسلام ! ! .

ومما يؤكد أن الرابطة الإسلامية هي فوق الروابط جميعًا تبرؤ القرآن الكريم من أبي لهب الحسيب النسيب عمّ النبي صلى الله عليه وسلم ، لكونه صد عن الهدى ، وأعرض عن الحق ، فسيصلى نارًا ذات لهب ، ويدخل جهنم مع الداخلين ، بينما يعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي رضي الله عنه من أهل البيت لكونه استجاب للحق ، واتبع سبيل الهدى . .

---

[1] أي أسمعوه من الكلام القبيح الصريح ما يكره

وما أحسن ما قال بعضهم في هذا المعنى :

عليك بتقوى الله في كلّ حالة ولا تترك التقوى اتكالا على النسب

فقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب

ولله در من قال :

دعيّ القوم ينصر مدّعيه ليلحقه بذي الحسب الصميم

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

وكم يكون ظلمًا للإسلام ، ونكرانًا للأخوة ، ومحادّة لله والرسول أن يقول القوميّون : إن المسلم الهندي ، أو الفارسي ، أو الكردي ، أو البربري ، أو الأندنوسي، أو التركي . . . ليسوا من قومنا ، ولا يعتبرون من إخواننا . . لأنهم لا ينتسبون للعرب ، ولا ينتمون إليهم ؟ والإسلام – كما نوّهنا وألمحنا جعل المؤمنين إخوة متحابّين مهما تباعدت أقطارهم ، وتباينت أجناسهم ، واختلفت لغاتهم . . للشعار الذي لا يتبدل : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ ، وللمبدإ الذي لا يتغير : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ وما أعظم الوحدة وما اقواها حينما تضمّ في ثناياها الملايين من غير العرب لكونهم يؤمنون جميعًا بإله واحد ، وبنبي واحد ، وبشريعة واحدة ، وينضوون جميعًا تحت راية واحدة، وخلافة راشدة ، وبقعة من الأرض متصلة . .

*** ومن هذه الثمرات نشر الإسلام في أرجاء الأرض :**

لا شك أن الأخوة الإسلامية حينما تقوم على مفهوم العقيدة الربانية ، ورابطة الإسلام . . فإن أصحابها حينما ينطلقون في مواكب التحرير ، وفي كتائب الجهاد ؛ ينطلقون بهمم عالية، وعزائم متوثبة ، وطموحات متفائلة . . لينشروا رسالة الإسلام في الأرض ، ونور الحق في العالمين ، وقد وضعوا نصب أعينهم إحدى الحسنيين : إما النصر ، وإما الشهادة .

وهذا ما حدا بالرعيل الأول من الصحابة ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان أن يخرجوا من محيطهم الضيّق ، ومن بيئتهم المحدودة إلى آفاق الأرض يمدنون الأمم ، ويكرمون الإنسان ، ويفرضون المعرفة ،

ويدكّون عروش البغي والظلم ، ويُرسون في العالمين قواعد المدنية والحضارة ، ويطبعون في ضمير الزمن مبادئ الحرية والعدالة والمساواة . . ويخرجون الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ! ! .

ما بين عشية وضحاها قامت للمسلمين دولة وسلطان ، وتأسست لهم حكومة وقيادة . . وأخضعوا لحكمهم المملكتين العظيمتين : فارس والروم ، وامتد ظلّهم إلى بلاد السند شرقاً ، وإلى بلاد الخزر وأرمينية وبلاد الروس شمالًا ، ودخلت في عدلهم بلاد الشام ومصر وبرقة وطرابلس وبقية إفريقية . . وذلك كله في خمس وثلاثين سنة . .

وفي عهد بني أمية استبحر ملكهم ، وامتد سلطانهم إلى أن دخلوا بلاد السند ، ومعظم بلاد الهند ، ووصلوا إلى حدود الصين شرقًا ، ودخلوا بلاد الأندلس غربًا . . وقد استطاع أحد الخلفاء هارون الرشيد أن يصور للعالم بسطة المجد الإسلامي الكبير فلم يجد غير أن يخاطب السحابة التي تمرّ به ولا تمطر فيقول لها : " **أمطري حيث شئت فإن خراجك سيُحمل إلينا** " .

فبالأخوة المؤمنة حرر المسلمون بلاد العرب التي تشمل مصر والعراق والشام . . تحت حكمهم في ظلّ شريعة الإسلام . .

وبالأخوة المؤمنة دكّ المسلمون عرش كسرى ، وزلزلوا ملك قيصر ، وأحرزوا في الأرض نصرًا كبيرًا ، وحققوا في العالم فتحًا مبينًا . .

وبالأخوّة المؤمنة الطموحة وصلت فتوحات المسلمين إلى آخر الغرب ، ووقف "عقبة بن نافع " على شاطئ المحيط الأطلسي ، وقال قولته الخالدة – بعد أن خاض جواده بالماء – : " اللهم ربّ محمد لولا هذا البحر لفتحتُ الدنيا في سبيل إعلاء كلمتك ، اللهم فاشهد " .

وبالأخّوة المؤمنة المتوثبة وصلت فتوحات المسلمين إلى آخر الشرق ، وأبي " قتيبة الباهلي " إلا أن يدخل بلاد الصين ، فقال له أحد أصحابة محذّرًا مشفقًا : " لقد أوغلت في بلاد الترك يا قتيبة ، والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتُدبر . . " .

فأجابه قتيبة والإيمان قد بلغ منه كل مبلغ : " بثقتي بنصر الله توغّلت ، وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة " ؛ فقال له ذلك المشفق المحذّر : " أُسلك سبيلك حيث شئت يا قتيبة ، فهذا عزم لا يفلّه إلا الله " !! .

وكيف لا ، وقد أصبحوا في ظل العقيدة الإسلامية إخواناً

وكيف لا ، وقد اعتصموا بحبل الله جميعًا ؟

وكيف لا ، وقد حملهم الله مسؤولية نشر الإسلام ؟

وكيف لا ، وقد أضحوا جميعًا كالجسم الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى ؟

وكيف لا ، وقد تكافأت تحت ظل الإسلام دماؤهم ، وسعى بذمّتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ؟

وكيف لا ، وحينما يقاتلون في سبيل الله يقاتلون صفًا واحدًا كأنهم بنيان مرصوص ؟

إنما الأخوة الإسلامية التي تجمع الناس بعد شتات ، وتوحّدهم بعد فرقة ، وتؤلفهم بعد عداوة ، وتشركهم جميعًا في الآلام والآمال !! .

*** ومن هذه الثمرات انبثاق حضارة الإسلام :**

فإذا كانت الأخوةالإسلامية تضم تحت لوائها جميع الأجناس والألوان واللغات والعناصر . . فحريّ أن يساهم كل كفء من المسلمين في تولي المناصب العلمية والدينية والسياسية . . وحريّ أن يشترك الجميع في بناء الحضارة الإسلامية الشاملة المتنوعة . . فالعربي والعجمي أخوان بأخوّة الإسلام ، تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على مَنْ سواهم ، وليس للأول على الثاني فضل إلا بالتقوى . . والرسول عليه الصلاة والسلام أعطى لأصحابه وللأجيال المسلمة المتعاقبة . . القدوة العملية في مؤاخاة العرب مع غير العرب تحت ظلال العقيدة الإسلامية ليساهم الأكفاء في تولي المناصب ، ويشترك الجميع في بناء الحضارة ، وإظهار عظمة الإسلام . . فآخى عليه الصلاة والسلام بين بلال بن

رباح الحبشي وخالد بن رويحة الخثعمي ، وآخى بين مولاه زيد بن حارثة وعمه حمزة بن عبد المطلب القرشي ؛ وآخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء ؛ وآخى بين خارجة بن زيد وأبي بكر الصّديق ؛ وآخى بين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان . . وقد أشرك عليه الصلاة والسلام كثيرًا من أولئك الموالي الأكفاء بعض الإدارات والمناصب الكبيرة . . فهو الذي عيّن بلالًا رضي الله عنه – وهو حبشي – واليًا على المدينة وفيها من وجوه القوم مَنْ لا ينكر أحد فضلهم ومآثرهم ؛ وهو الذي سلّم أسامة بن زيد وهو ابن مولى قيادة الجيش العامة ، وفي الجيش كبار الصحابة ، كأمثال أبي بكر وعمر . . وهو الذي قال لأبي ذرّ – وهو الحسيب النسيب – حين جاء يطلب الإمارة : " يا أبا ذر إنك رجل ضعيف ، وإنها لأمانة ، وإنها يوم القيامة خزْي وندامة إلا مَنْ أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها " .

فيتبيّن من مواقفه هذه عليه الصلاة والسلام : أنه كان يسعى في أن يتفاعل المسلمون جميعًا على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم . . في بناء دولة الإسلام ، وحضارة الإسلام ، ومجد الإسلام . . دون أن يكون بين المسلمين استعلاء جنس على جنس ، أو تطاول لون على لون ، أو تميّز لغة على لغة . .

فانطلاقًا من هذه المساواة التي فرضها الإسلام على الأمة الإسلامية انصرف كثير من الموالي غير العرب إلى العلم والفقه ، فبرعوا فيها حتى أصبحوا فقهاء الأمصار ، وعلماء الأقطار . . بلا منازع ، بل تولّوا أعلى المناصب العلمية والدينية في الدولة الإسلامية .

قال ابن أبي ليلى : قال لي عيسى بن موسى – وكان شديد العصبية للعرب – : **مَنْ كان فقيه البصرة ؟** ، قلت : الحسن بن أبي الحسن ، قال ثمّ مَنْ ؟ قلت : محمد ابن سيرين ، قال : فما هما ؟ قلت : مولیان ! .

قال : **فمن كان فقيه مكة** : ؟ قلت عطاء بن أبي رباح ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير، وسليمان بن يسار ، قال : فما هؤلاء ؟ قلت : موالي ! ! . .

قال : **فَمَنْ فقهاء المدينة** ؟ قلت : زيد بن أسلم ، ومحمد بن المنكدر ، ونافع بن أبي نجيح ، قال : فما هؤلاء ؟ قلت : موالي ! ! .

فتغير وجهه ثم قال : **فمن أفقه أهل قباء** ؟ قلت : ربيعة الرأي ، وابن أبي الزناد ، قال : فما كانا ؟ قلت : موالي ! ! .

فاربّد وجهه (أي زاد تغيره) ثم قال : **فمن فقيه اليمن** ؟ ، قلت : طاووس ، وابنه، وابن منبّه ، قال : فما هؤلاء ؟ ، قلت : من الموالي ! ! .

فانتفخت أوداجه ، وانتصب قاعدًا وقال : **فمن كان فقيه خراسان** ؟ ، قلت : عطاء بن عبد الله الخراساني ، قال : فما كان عطاء هذا ؟ قلت : مولى ! ! .

فازداد وجهه تربّدًا ، واسودّ اسودادًا حتى خفتُه . . ثم قال : **فمن كان فقيه الشام** ؟ قلت : مكحول ، قال : فما كان مكحول هذا ؟ قلت : مولى ! ! .

فازداد غيظه وتربّده ثم قال : **فمن كان فقيه الكوفة** ؟ – والله لولا أني خفته لقلت: الحكم بن عتبة ، وعمار بن أبي سليمان ، ولكن رأيت في نفسه الشر – فقلت : إبراهيم النخعي ، والشعبي ، قال : فما كانا ؟ قلت : عربيّان ؛ فقال : الله أكبر وسكن جأشه .

وهكذا كان غير العرب من المسلمين يتبوؤون أسمى المراتب العلمية ، وينالون أعلى المراكز السياسية والدينية لكفاءاتهم ومواهبهم ونبوغهم . . بل كان غير العرب من أشهر الرجال في النبوغ العلمي ، والتفوق الحضاري كأمثال أبي حنيفة ، وسيبويه ، والبيروني ، والخوارزمي ، والرازي ، وابن سينا . . ومئات غيرهم ممن حملوا ألوية الفقه، والطب ، والرياضيات ، والفلسفة ، واللغة ، والتاريخ ، والفلك ، وسائر العلوم إلى العالم كله .

ولا يستطيع أحد أن يتجاهل ما تدين به الحضارة الإسلامية للعصر السلجوقي ، ولا أن ينكر ما قدمته للحضارة الإسلامية نهضة التيموريين في أواسط آسيا ! ! . .

ولا يستطيع أحد أن يتغاضى الدور الهائل الذي لعبه الأتراك العثمانيون في انبعاث الحضارة الإسلامية وازدهارها . .

فإذا ذكرنا أن هؤلاء جميعًا ليسوا بعرب عرفنا جيدًا أن كل مَنْ آمن بهذا الإسلام عقيدة وعبادة وتشريعًا . . ساهم في بناء الحضارة الإسلامية ، واشترك في إقامة مجد الإسلام عبر العصور . . سواء أكان عربيًا أو عجميًا أبيض أو أسود ، وما ذاك إلا لأن الإسلام جمع تحت لوائه أجناسًا مختلفة ، وألوانًا متباينة ، ولغات متنوعه تحت شعار : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ ، وتحت راية : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ . [آل عمران : ١٩]

والذي أخلص إليه بعد ما تقدم أن أخوّة الإسلام هي من العوامل الكبيرة في وصول الأمة الإسلامية إلى قمة السيادة والمجد ، وفي امتلاكها لزمام الحضارة والعلم . . بل بقيت أوروبة ترتشف قرونًا طويلة من معين الحضارة الإسلامية ، وتستقي من سلسبيل العلوم والمعارف التي نبغ فيها المسلمون . . حتى استطاعت أوروبة وغيرها من البلاد الشرقية أن تصل إلى قمة الحضارة المادية وإلى ذروة العلوم الكونية في العصر الحديث .

وهذا ما شهد به رجالات الفكر والفلسفة في العالم :

□يقول العلامة الأستاذ " شبرل " عميد كلية الحقوق بجامعة " فينا" في مؤتمر الحقوق سنة ١٩٢٧ □ : [إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد – صلى الله عليه وسلم إليها؛– إذ رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة] .

□ويقول المؤرخ الإنجليزي " ويلز " في كتابه " ملامح تاريخ الإنسانية " : [إن أوروبة مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية] .

□ونقل " غوستاف لوبون " عن الأستاذ " ليبري " قوله : [لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبة الحديثة عدة قرون] .

ويقول " لين بول " في كتابه " العرب في إسبانيا " : [فكانت أوروبة الأمية تزخر بالجهل والحرمان ، بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم ورواية الثقافة في العالم] .

*** ومن هذه الثمرات ترسيخ التكافل في المجتمع المسلم :**

فالمسلم حين يستشعر أنه أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يتخلّى عنه . .

وحين يستشعر أنه لا يؤمن حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه .

وحين يستشعر أنه لا يؤمن إذا بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به .

وحين يستشعر أنه مع الإخوة المؤمنين كالجسم الواحد في الآلام والآمال .

المسلم حين يستشعر في نفسه ، ومن أعماق وجدانه كل هذه المعاني الأخوية الخالصة فإنه يندفع بكليته إلى تحقيق التعاون ، والتكافل ، والتراحم ، والإيثار . . تجاه كل مَنْ تربطه بهم أخوّة الإسلام ، ومن تجمعه وإياهم آصرة الإيمان . . ولا سيما إن كانوا بحاجة إلى من يكفكف لهم أحزانهم ، ويواسيهم في ضرّائهم ، ويرعاهم في مصابهم ، ويكفلهم في وقت عجزهم وافتقارهم .

وهذا من أبسط حقوق الأخوة ، ومن أظهر مقتضيات الإيمان .

وسبق أن ذكرنا في بحث مضى النماذج التاريخية الخالدة في تكافل المجتمع المسلم، وفي تعاطفه وتراحمه وإيثاره . .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن كل مسلم كان يستشعر حقوق الأخوّة ، وينهض بمسؤوليات التكافل تجاه من أوجب الله عليه حبّهم وإخاءهم ورحمتهم وعطفهم دون منّ ولا أذىً ، ودون تطاول ولا استعلاء . .

ومن البديهي أن ينمحي الفقر في المجتمع الإسلامي ، وأن يتحرر أبناء المجتمع من عوامل الإجرام والانحراف ما دام السبب الذي يؤدي إلى الفقر قد زال ، وما دام العامل الذي يؤدي إلى الإجرام قد انمحى ! ! .

وكم سمعنا في التاريخ أن المجتمعات التي حكمتها شريعة الله ، والتي قويت فيها شكيمة الأخوّة في الله ، والتي تأسست على تقوى من الله . . كيف انعدم الفقر في أرجائها ؟ وكيف انتشر الحب والتعاون والتكافل والتراحم بين أبنائها ؟ وكيف كانت جبهة واحدة متراصّة أمام أعدائها ؟ وكيف كان لها من الهيبة والقوة والعزة تجاه غيرهم من شعوب الأرض ودول العالم ؟ وما ذاك إلا لأن الإسلام أحكم بناء الأخوّة ، ووطّد دعائم المحبّة ، ورسّخ مبادئ التكافل ، وعمّق معاني الرحمة والإيثار ! ! .

تلكم أهم الثمرات التي تجنيها أمّة الإسلام في ظلّ الأخوة الإسلامية الخالصة ، وتحت شعار العقيدة الرّبانية الرائدة . .

فبظلّ الأخوة – يا شباب الإسلام – تجنون ثمرة الوحدة الإسلامية المتماسكة .

وبظلّ الأخوّة تجنون ثمرة انتشار الإسلام في شرق الدنيا وغربها .

وبظلّ الأخوة تجنون ثمرة انبثاق حضارة الإسلام على الدنيا زاهية متجدّدة رائدة . .

وبظلّ الأخوة تجنون ثمرة ترسيخ التكافل الاجتماعي في كل بلد ترفرف عليه راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

فعّمقوا في نفوسكم – يا إخوة الإسلام – روح الأخوة في الله ، عسى أن تحققوا بسواعدكم الفتيّة وحدة المسلمين الشاملة ، وعسى أن تنشروا دين الله الخالد في كل قطر من أقطار المعمورة ، وعسى أن ترفعوا في سماء الدنيا منار الحضارة الإسلامية المضيء بالخير ، والمشرق بالهدى . . وعسى أن تحققوا في مجتمعات الإسلام مبادئ التكافل والمحبة والإيثار .

فما أحوج المجتمعات الإسلامية إلى إخوة مؤمنين ، ورجال متحابّين ، وشباب أوفياء مخلصين . . يحملون في نفوسهم أنبل معاني الحب والإخلاص والوفاء . . عسى أن تعود للإسلام دولته التي اندثرت ، وأن يرجع للمسلمين عزتهم التي ذهبت ، وما ذلك على الله بعزيز .

٨ – وأخيرًا يا شباب الدعوة ويا جنود الإسلام

أنتم اليوم أمل الإسلام المشرق في بناء عزة الإسلام ، ودولة الإسلام ووحدة الإسلام . .

وأنتم في هذا العصر رجاء المسلمين البسّام في إعادة الخلافة الراشدة في الأرض ، واسترجاع الأمجاد الغابرة في العالمين . .

وأنتم المنظور إليكم في كل مكان على أنكم رجال تحرير ، وجنود إنقاذ ، ودعاة حق ، وشموس هداية . . فأعطوا القدوة يا شباب في كل شيء . .

أعطوا القدوة في التزامكم مبادئ الأخوّة الإسلامية . .

أعطوا القدوة في تعميقكم لروحها ومعانيها . .

أعطوا القدوة في أدائكم لحقوقها ، وقيامكم بواجباتها . .

أعطوا القدوة في ضرب النماذج والأمثال عند تعاملكم بها ، وتفاعلكم معها . .

أعطوا القدوة في امتداد أثرها ، وقطف ثمراتها . .

إنه لا تأثير في الأفراد والأمم أكبر من القدوة ، وأعظم من الأسوة .

والتاريخ – يا شباب – يسطر بملء الافتخار والإعجاب أن الإسلام وصل إلى جنوب الهند وسيلان ، وجزر لكديف وما لاديف في المحيط الهندي وإلى التيبت ، وإلى سواحل الصين ، وإلى الفلبين ، وجزر أندنوسيا ، وشبه جزيرة الملايو . . ووصل إلى أواسط إفريقية في السنغال ، ونيجيريا ، والصومال ، وتنزانيا ، ومدغشقر ، وزنجبار، وغيرها من البلاد . .

وصل الإسلام إلى كل هذه الأمم بالقدوة ، قدوة التجار في تعاملهم ، قدوة الدعاة في تفاعلهم ، قدوة المسلمين في صدق إخائهم ، وجميل سلوكهم ، وكريم أخلاقهم . . ثم أعقب ذلك الكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ، والدعوة اللطيفة . . فدخل الناس في دين الله أفواجًا ، وآمنوا بالدين الجديد عن إيمان واقتناع ورغبة . .

ولولا أن يتميز هؤلاء التجار بحسن معاملتهم ، وهؤلاء الدعاة بصدق تآخيهم ، وهؤلاء المسلمون بكريم أخلاقهم . . لما اعتنق هؤلاء الملايين من البشر الإسلام ، ولما دخلوا في عدله ورحمته ! ! .

وكم يسر الدعوة الإسلامية أن تجد من جنودها ودعاتها ، وكلّ من ينتسب إليها . . شبابًا مؤمنًا متآخيًا واعيًا متماسكًا . . يجدون مبادئ الإسلام في سلوكهم ، ويصوغون فكرته في أشخاصهم ، ويترجمون فضائله في حركاتهم وسكناتهم ؟ . .

ولما تقدم الحركة الإسلامية في العصر الحديث نماذج من الرجال يقتدى بفعالهم وأخلاقهم ، ونوعيّات من الدعاة يتميزون بتآخيهم وتقواهم ، وآلاف من الشباب يتأثر الناس بحالهم قبل أن يتأثروا بحالهم . . عندئذ تحصد الحركة الإسلامية في ميدان الدعوة إلى الله ، الآلاف من الكتل البشرية آمنت بالله ربًّا ، وبالاسلام دينًا ، وبالقرآن إمامًا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولًا . . بل تقطف في مجال انتشار الإسلام أينع الثمرات، وأطيب الأكُل . .

وبماذا انتصر محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا ؟

انتصر – كما قال الشهيد سيد قطب – يوم صنع أصحابه عليهم رضوان ا لله صورًا حيّة من إيمانه ، تأكل الطعام ، وتمشي في الأسواق ، يوم صاغ من كلّ منهم قرآنًا حيًّا يدبّ على الأرض ، يوم جعل من كل فرد نموذجًا مجسّمًا للإسلام ، يراه الناس فيرون الإسلام ! ! .

إن النصوص وحدها لا تصنع شيئًا ، وإن المصحف وحده لا يعمل حتى يكون رجلًا ، وإن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكًا . .

ومن ثمّ جعل محمد صلى الله عليه وسلم هدفه الأول أن يصنع رجالًا لا أن يلقي مواعظ ، وأن يصوغ ضمائر لا أن يدبّج خطبًا ، وأن يبني أمة لا أن يقيم فلسفة ؛ أما الفكرة ذاتها فقد تكفّل بها القرآن الكريم ، وكان عمل محمد صلى الله عليه وسلم أن يحّول الفكرة المجردة إلى رجال تلمسهم الأيدي ، وتراهم العيون ! ! . .

ولقد انتصر محمد صلى الله عليه وسلم ، يوم صاغ من فكرة الإسلام شخوصًا ، وحوّل إيمانهم بالإسلام عملاً ، وطبع من المصحف عشرات من النسخ ثم مئات وألوفًا ، ولكنه لم يطبعهما بالمداد على صحائف الورق ، إنما طبعها بالنور على صحائف من القلوب ؛ وأطلقها تعامل الناس ، وتأخذ منهم وتعطي ، وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله .

* * *

وكم تكون نكسة الحركة الإسلامية أليمة ؛ وكم يكون فشلها بينًا واضحًا ، حينما يظهر أبناؤها ودعاتها في المجتمع بمظهر الأنانية والحسد والشحناء . . ؟

وكم ينحسر المدّ الإسلامي في المجتمعات الإسلامية ، وفي الأمم الغربية والشرقية . . حينما تنقسم الحركة الإسلامية على نفسها ، وتضمر العداوة والبغضاء بين فئاتها ؟

وكم ييأس العلماء والمفكرون ودعاة الإصلاح في كل مكان من إقامة دولة الإسلام حينما يجدون الجماعات الإسلامية في البلد الواحد يتراشقون بالتّهم ، ويتنابزون بالألقاب ، وتتأجج بينهم نار العداوة والحقد والبغضاء ؟ .

ويكون حال هذه الحركات المتباغضة والجماعات المتناحرة كحال من قال عنهم الشاعر :

وما شكواي أو شكواك إلا لفوضى في المجامع وانقسام
ترى كلًا له أمل وسعي وما لاثنين حولك من وئام
لكل جماعة فينا إمام ولكن الجميع بلا إمام

وفي تقديري وتقدير الكثير من دعاة الفكر ورجال الإصلاح . . لو أن أبناء هذه الحركات والجماعات أخذوا بمنهج الإسلام في تربية الدعاة ، وإعداد الأفراد ، وتكوين الأمم . . ولو أنهم ساروا على مبادئ الشريعة في أداء حقوق الأخوّة ، وتعميق روحها ، والقيام بواجباتها ، والتفاعل معها . . لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم . . ولأطاحوا بعروش البغي والظلم والإلحاد . . ولأقاموا دولة الإسلام في بلاد الإسلام . . ولنشروا دين الله في كل بقعة من بقاع الأرض وفي كل قطر من أقطار

الدنيا . . هل تظنون – يا أبناء الدعوة إلى الله – أن الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان . . أقاموا مجد الإسلام العريض ، وبنوا عزة المسلمين السامقة ، وأسّسوا دولة القرآن الضخمة الكبيرة بلا أخوّة خالصة ، ومحبة صادقة ، وتآلف قلبيّ مترابط ؟ .

هل تظنون أن الإسلام انتشر شرقاً وغربًا في أرجاء المعمورة بلا ترابط بالإسلام وثيق ، وبلا اعتصام بحبل الله المتين ؟ .

هل تظنون أن دخول الملايين في الإسلام عن طواعية واختيار بلا قدوة من الدعاة لمسوها ، ولا أسوة من المؤمنين عرفوها ؟ .

هل تظنون أن القاعدة الصلبة التي تأسست عليها دولة الإسلام ، وانتشرت على يديها رسالة محمد عليه الصلاة والسلام لم تكن متآخية متواددة متراحمة ؟ .

ألم تقرؤوا في التاريخ – ياشباب الإسلام – أن قائدكم وباني مجد الإسلام إلى الأبد لم يؤسس دولة المسلمين الأولى في المدينة إلا بعد أن آخى بين المهاجري ن والأنصار ، وألف بين الأوس والخزرج : لينطلق الجميع في جبهة واحدة متراصة تحت راية ﴿ **واعتصموا بحبل اللّه جميعًا ولا تفرقوا** ﴾ ؛ وتحت شعار : ﴿ **وإن هذه أمّتكم أمّة واحدة وأنا ربكم فاتقون** ﴾ [المؤمنون : ٥٢] . . ليقيموا في العالمين دولة رائدة ، ويكوّنوا في مجاهل الأرض أمّة هادية ، ويرفعوا في ذرى القمم راية التوحيد ،ويطبعوا في ضمير الزمن مباديء الحرية والعدالة والمساواة . . ؟ ! ! .

وكم كانت محاسبة الرسول صلى الله عليه وسلم عسيرة ، وتوبيخه قارعًا ؟ حينما حاول اليهود لعنهم الله أن يشقوا عصا الأوس والخزرج ، وأن يزعزعوا وحدتهم ، وأن يمزقوا تآلفهم . . حتى تنادوْا إلى السلاح ، وكادت أن تقع بينهم فتنة . فما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن جمعهم في حظيرة واحدة وقال لهم مقرّعًا وموّبخًا : "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى السلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألّف به بينكم ؟ ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض ؟ " .

فأنزل الله هذه الآيات : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقًا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات اللّه وفيكم رسوله ومن يعتصم باللّه فقد هدي إلى صراط مستقيم** ﴾ . . . إلى آخر الآيات . [آل عمران : ١٠٠]

* * *

وبعد فيا شباب الإسلام :

أحكموا أخوتكم ، ورسّخوا وحدتكم ، وتآخوا بروح الله بينكم ، وأصلحوا بإخلاص التوبة نفوسكم ، وتميّزوا بين الناس بأخلاقكم وسلوككم ، وأعطوا القدوة بأفعالكم وحسن معاملتكم ، وأدّوا حقوق الأخوة لإخوانكم ومن يلوذ بكم ، وسيروا على منهج الإسلام في تثبيت محبتكم وتآلفكم ، وخذوا بهدي القرآن في تراحمكم وتواددكم ؛ .

فإذا فعلتم ذلك فاعلموا أنكم منصورون ، وإن جند الله لهم الغالبون ، وقل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . .

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين .